تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المفهوم،الأهداف، والأهمية

1.تعليم اللّغة العربية لغير الناطقين بها -المصطلح والمفهوم-:

يشيع في ميدان تعليم العربية كلغة ثانية مجموعة من المصطلحات التي ينبغي التفريق بينها: تعليم العربية للأجانب، تعليم العربية لغير العرب، تعليم العربية للأعاجم، تعليم العربية لغير الناطقين بها، تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى، تعليم العربية للناطقين بغيرها.

'بالنسبة لتعليم العربية للأجانب وتعليمها لغير العرب فلهما نفس المعنى تقريبا إذا نظرنا إليهما من وجهة نظر سياسية، فالأجنبي هو من ينتمي إلى جنس غير الجنس العربي وبذلك تتباين لغاتهم وثقافتهم مع اللغة العربية وثقافتها تباينا كبيرا. أي أنّ تعليم العربية كلغة ثانية يخرج منها من كان عربي الجنسية وغير ناطق بلسانها. بلغة المنطق أن كلا منهما تعريف مانع غير جامع؛ أي لا يجمع كل فئات المتعلمين بمثل ما يمنع دخول فئات منهم".

أما فيما يخص تعليم العربية للأعاجم فيستخدمه بعض الكتاب للدلالة على الأجانب الذين لا ينطقون اللغة العربية، استنادا لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، إلا أنّ لهذا المصطلح أثر نفسي سلبي على المسلمين من غير العرب؛ وهذا ما لاحظناه عند إطلاقنا إياه على بعض الأجانب الذين يتعلمون اللغة العربية وشعرنا به عندما كان يطلق علينا مصطلح الأستاذ الأجنبي بالصّين فكان يتملكنا شعور بأننا غرباء مهما حاولنا الاندماج.

إذن فهذه الاصطلاحات الثلاثة غير دقيقة ولقد وصفنا كلا منها بأنه مانع غير جامع، أي يمنع دخول فئات من بين متعلمي العربية كلغة ثانية...وكأنّ كل من يتعلمون اللغة العربية كلغة ثانية من الأجانب أو غير العرب أو الأعاجم؛ في حين الواقع يبرز أن هناك فئات معتبرة من متعلمي اللغة العربية لغة ثانية من العرب إلا أنّهم لا يتكلمون العربية ومثال على ذلك من يسكنون شمال إفريقيا، جنوب السودان، وشمال العراق ولغاتهم تتنوع بين الكردية والبربرية ونوبية

وبالنسبة لمصطلح تعليم العربية لغير الناطقين بها؛ فالنطق بالعربية هو الفيصل بغض النظر عن انتماءات الدارسين الثقافية أو اتجاهاتهم نحو اللّغة أو دوافعهم لتعلمها. ولا يقصد بالنطق هنا مجرد اكتساب مهاراتها بعد تعلمها في برامج تعليم العربية كلغة ثانية، وإنما يقصد بها أن تكون اللغة الأولى

للفرد، وقد تعرض هذا المصطلح لانتقاد أيضا فهو مصطلح جامع غير مانع حيث يضم كل متعلمي العربية كلغة ثانية.

أما مصطلح تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، فهو اقتباس من الاصطلاح الأمريكي الذي يطلق على رابطة تعليم اللّغة الإنجليزية "Teaching Englich to Speakers of Other languages"، ويضم هذا الاصطلاح كل الدارسين الذين يتعلمون لغة غير لغتهم الأم. أي أنّهم ناطقون بلغات أخرى غير اللغة الهدف. ولقد كان أول ما وقع من كتب في مجال تعليم العربية كلغة ثانية مستخدما هذا الاصطلاح هو كتاب الأستاذ علي القاسمي" اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى"، أما بالنسبة لمصطلح تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها فقد كان نتيجة استطالة بعض المتخصصين لمصطلح تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، وقد اختصر هذا الاصطلاح كلية، إلا أنّه زاده غموضا فإذا كان اصطلاح النطق يعني اللغة الأولى عند الإنسان صار بين الاصطلاحين الآخرين تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى وتعليم العربية للناطقين بغيرها تماثلا؛ أما إذا كان اصطلاح النطق عاما يشمل أي شكل من أشكال التعبير صار المصطلح(تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها) غير دقيق فالنطق قد يكون بالرموز الصوتية التي يحكمها نظام معين (أي مفهوم اللغة اصطلاحا) وقد يكون بالإشارة، وقد يكون بالوسائل التكنولوجية الحديثة.

ويحتوي الجدول التالي محاولة منا لحصر المفاهيم المقابلة للمصطلحات السابقة، حتى يتضح الفرق بينها:

جدول رقم(2): حصر للمفاهيم المقابلة للمصطلحات المقابلة لتعليم العربية للناطقين بغيرها

المصطلح	المفهوم
• تعليم العربية للأجانب • تعليم العربية لغير العرب • تعليم العربية للأعاجم	مصطلحات مانعة غير جامعة؛ أي لا تجمع كل فئات المتعلمين بمثل ما تمنع دخول فئات أخرى منهم، بالإضافة إلى تحسس بعض الأجانب من استعمالها.

• تعليم العربية لغير الناطقين بها	مصطلح جامع غير مانع حيث يضم كل متعلمي اللّغة العربية لغة ثانية، فالنطق بالعربية هنا يقصد به أن اللغة العربية ليست لغتهم الأولى.
• تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى	مصطلح جامع غير مانع يقصد به تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى، بكل فئاتهم وعلى اختلاف خلفياتهم الثقافية وجنسياتهم.
• تعليم العربية للناطقين بغيرها	اختصار لمصطلح تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى؛ يؤخذ عليه أنّه زاده غموضا وغير دقيق لأن النطق قد يكون بالرموز الصوتية

ويمكن تعريف تعليم اللّغة العربية للناطقين بغيرها بأنّها مجموعة الإجراءات المتبعة لتمكين الأفراد الذين لغتهم الأصلية ليست اللغة العربية من المكونات اللغوية والتواصلية والثقافية وفهمها وتخزينها من خلال الالتحاق بأحد البرامج المقدمة سواء داخل البلدان العربية أم خارجها.

2.أهمية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها:

«شهد منتصف القرن العشرين اهتماما بالغا بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وقد برز هذا الاهتمام واضحا على المستويين العربي والعالمي؛ حيث اعتنت عدة جامعات بريطانية وأمريكية بتعليم اللغة العربية، وصار تعليمها مطلبا مهما وأساسيا للحصول على بعض الشهادات والوظائف».

«فقد أضحت اللّغة العربية محل الاهتمام والرغبة في تعلمها لدى المختصين والعاملين في شؤون العالم الإسلامي، الحركات الدينية، والتطور الاقتصادي والثقافي لكثير من الدول الإسلامية. وساعد التطور التكنولوجي في وسائل الاتصال المختلفة على جعل اللغة العربية أقرب متناولا للكثير من المهتمين بها، حيث تشير دراسات إلى أن نسبة المقبلين على تعلم اللغة العربية في الولايات المتحدة الأمريكية ارتفعت إلى نسبة 127% في الفترة بين عامي (2000-2006) ، فوصل إعداد دارسي اللغة العربية إلى 24ألف طالب، إضافة إلى ذلك تزايدت أعداد مراكز البحث وأقسام تعليم اللغات الأجنبية، وحتى المدارس

الثانوية التي تدرس اللغة العربية وثقافة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، مما مكن اللغة العربية ولأول مرة في تاريخ تعليمها في الولايات المتحدة الأمريكية من أن تصنف ضمن اللغات العشر الأكثر تعلما».

هذا الاهتمام المتزايد بتعلم اللّغة العربية من قبل الأجانب، بالإضافة إلى أهمية اللّغة العربية كأداة للتواصل ووعاء للفكر والثقافة الإسلامية ومطلب لابد منه لكل من اتخذ الإسلام دينا، والدول العربية وجهة لتحقيق أغراضه الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية، عزز من مكانة مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بـها، كما جعل الكثير من الباحثين في مجالها يتوجهون للتعمق في آليات تعليمها لغة ثانية أو أجنبية، بالاستفادة من تجارب الآخرين ومحاولة تطبيق مناهج البحث اللساني الحديثة على تعليمها.

ومما يدل على أهمية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أيضا احتلال اللّغة العربية مكانة كبيرة في نظر الدارسين المنصفين من غير أبنائها، ودفعهم إعجابهم بها وبإمكاناتها التواصلية إلى تعلمها، والإشادة بسماتها وخصائصها، وهو ما يظهر من خلال أقوالهم، ونذكر على سبيل المثال:

قول المستشرق الأمريكي كوتهيل مشيداً بقدرة اللّغة العربية على التطور والارتقاء: «قلَّ منَّا -نحن الغربيين- من يقدِّر اللّغة العربية حق قدرها، من حيث أهميتها وغناها، فهي بفضل تاريخ الأقوام التي نطقت بها، وبداعي انتشارها في أقاليم كثيرة، واحتكاكها بمدنيات مختلفة؛ قد نمت إلى أن أصبحت لغةً مدنيَّةً بأسرها بعد أن كانت لغة قبليَّةً. لقد كان للعربية ماض مجيد، وفي تقديري سيكون لها مستقبل باهر».

كما يشيد المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون باللّغة العربية وسماتها التي تمنح متحدثيها حق الافتخار بها، فيقول: «باستطاعة العرب أن يفاخروا غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم التي تحمل من سموّ الفكر وأمارات الفتوَّة والمروءة ما لا مثيل له».

كل ما سبق ذكره من أقوال وإقبال متزايد للأجانب على تعلم اللغة العربية يدل على أهمية اللغة العربية في عيون الناطقين بغيرها، وهذه الشهادة يمكن اعتبارها منطلقا للدلالة على أهمية هذا المجال وأهمية الاستثمار فيه لنشر الفكر والثقافة العربية الإسلامية، بمحاولة إنشاء برامج ومعاهد تحاكي في تجاربها المعاهد البريطانية"British Council" والفرنسية الموزعة عبر أنحاء العالم، هذه الأخيرة التي تساهم بشكل فعال في نشر الثقافة واللغة الانجليزية والفرنسية، كما تساهم في بناء اقتصادهم الوطني بشكل غير

مباشر؛ فالمستوى الأول على سبيل المثال من اللغة الفرنسية في المعهد الفرنسي بالجزائر يكلف المتعلم 12000دج لمدة تكوين لا تتجاوز شهر؛ حيث بلغ عدد المقبلين على تعلمها سنة 2013م قرابة 25000 مسجل لإجراء امتحانات اللّغة.

3.أهداف تعليم العربية لغير الناطقين بها:

يقصد بالأهداف التغيرات المتوقع حدوثها في شخصية الطلاب بعد مرورهم بخبرات تعليمية وتفاعلهم مع مواقف تعليمية محددة، وأهداف تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لا تختلف كثيرا عن أهداف تعليم اللغات الأجنبية عموما، إلا أنّه يضاف إلى تلك الأهداف أبعاد أخرى هي تلك الخاصة بممارسة العبادات الإسلامية، وهذا لأن اللّغة العربية هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف والشعائر الإسلامية. وقد أكد كل من (محمود الناقة)، و(سلمان الواسطي) على الأهداف الآتية في تعليم العربية لغير الناطقين بها:

- ممارسة المتعلم للغة العربية بنفس طريقة الناطق الأصلي لها، أو بصورة تقترب منها.
- تنمية قدرة المتعلم على فهم اللّغة عندما يستمع إليها.
- تمكين المتعلم المسلم من شعائره الإسلامية وقراءة القرآن الكريم بشكل صحيح.
- إكساب المتعلم المهارة اللازمة لاستخدام اللّغة العربية في أي سياق دراسي أو وظيفي أو عام يتطلب التعامل بالعربية.
- تنمية قدرة المتعلم في المهارات الأربع الخاصة باللغة العربية.
- تعريف المتعلم بخصائص اللغة العربية.
- إكساب المتعلم القدرة على فهم اللغة العربية الفصحى المتكلمة في مواقف الحياة العامة.
- تدريب الطلاب حتى يكونوا وسطاء معرفيين بين ثقافتهم المختلفة والعالم العربي.

أي أنّ تعليم اللّغة العربية للناطقين بغيرها كغيره من المواد المتعلّمة يقتضي أن تُحدَّدَ وتصاغ فيه الأهداف التعليميّة صياغةً دقيقةً؛ إذ يعتبر تمكين الدارس من الكفايات اللّغوية، والاتصاليّة، والثقافيّة الهدف الأساس من وراء تعليم العربية للناطقين بغيرها في برامجها وفيما يلي بيانٌ موجز بهذه الجوانبِ الثلاثة:

1.الكفاية اللغوية:

وتظم المهارات الأربع: الاستماع (فهم المسموع)، الكلام(الحديث)، القراءة(فهم المقروء)، الكتابة(الآلية والإبداعية). ويقصد بها سيطرة المتعلم على النظام الصوتي للغة العربية تمييزا وانتاجا، ومعرفته بتراكيب اللغة وقواعدها الأساسية نظريا ووظيفيا، والإلمام بقدر مناسب من مفردات اللغة للفهم والاستعمال.

2.الكفاية الاتصالية:

يقصد بها قدرة المتعلم على استخدام اللّغة بصورة تلقائية، والتعبير بطلاقة عن أفكاره وخبراته، مع تمكنه من استيعاب ما يتلقى من اللغة في يسر وسهولة، بالإضافة إلى توفر حس لغوي يميز به الفرد بين الوظائف المختلفة للغة العربية في مواقف الاستعمال الفعلي.

"ومن أوجه الكفاية الاتصالية قدرة الشخص على التعبير عن نفسه بصورة ملائمة اجتماعيا على جميع المستويات الرسمية؛ ابتداءا من مواجهة حميمة بين شخصين وحتى أرقى مستوى هو مواجهة الجمهور. ومن أوجه الكفاية الاتصالية أيضا التفوق في مهارة أداء أحداث الاتصال اليومي مثل: الطلب، الموافقة، الرفض، المدح ...الخ، وغير ذلك من الأحداث التي تكوّن الاتصال والتي لابد لطالب اللغة أن يكتسبها بصور مختلفة ويجيدها لأداء كل حدث منها".

3. الكفاية الثقافية:

"الكفاية الثقافية بصفة عامة هي المعرفة بثقافة ما والقدرة على السلوك وفقا لسلوك أعضائها، أما الكفاية في لغة معينة كاللغة العربية، هي القدرة على التصرف المناسب بحسب ما تمليه الأوضاع الثقافية المختلفة من ثقافة تعبر عن أفكار المتحدثين باللغة العربية وتجاربهم وقيمهم وعاداتهم وآدابهم وفنونهم، وتعتبر الكفاية الثقافية أهم بكثير من مجرد المعرفة الإدراكية باللغة، الأمر الذي يحتم ضرورة التأكيد

على التعليم الثقافي. حيث دون هذا النوع من المعرفة الكيفية يكون متحدث اللغة الثانية عرضة لعدم فهمه أو سوء فهمه من قبل الآخرين، فيكون بذلك عرضة للاستخفاف أو الاهانة من قبل المتحدثين الأصليين. فالمعرفة العامة عن ثقافة اللغة الثانية والتي تتوفر عادة لدى الناطق الأصلي عادي الثقافة تعتبر مهمة، فدونها يعجز متحدث اللغة الثانية عن فهم الرسائل". والثقافة التي يجب أن يزود بها متعلم اللغة العربية الأجنبي هي الثقافة العربية الإسلامية، يضاف إلى ذلك أنماط من الثقافة العالمية التي لا تخالف أصول الإسلام:

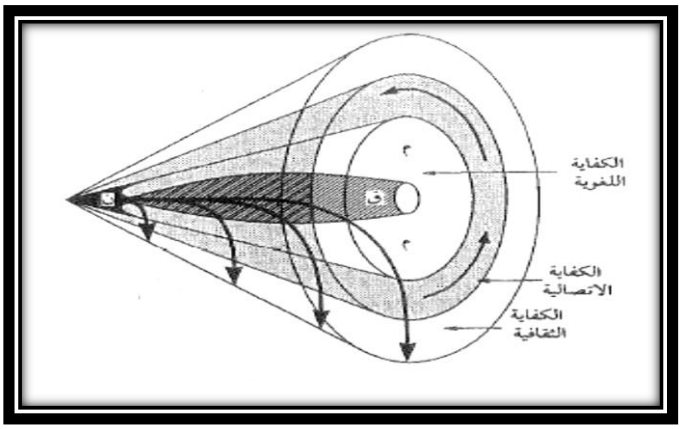

الشكل رقم(3): الكفايات عند متعلمي اللّغة الأجانب

فالكفاية اللغوية هي جوهر الكفاية في اللغة الثانية التي بدورها تستخدم للاتصال من خلال السياق الثقافي للغة الهدف.

5.الفرق بين تعليم اللغة العربية للناطقين بـها و تعليمها الناطقين بغيرها:

حاول العديد من المهتمين بمجال تعليم العربية للناطقين بغيرها معرفة الفروق بين تعليم العربية للناطقين بها والناطقين بغيرها، فالموجود على صفحات الانترنت والكتب عبارة عن تفريق بسيط لا يرقى إلى رؤية منهجية وعلمية، فجل ما ذكر أو يذكر يأتي تحت سياق الفرق في المفردات والتراكيب والفرق في الثقافة وأساليب التدريس بشكل عام وهو كلام عام، وللإجابة عن هذا التساؤل برؤية منهجية يمكن القول أنّ الفروق تتمثل في أربعة أركان على التوالي الأهداف، المحتوى والتقويم:

1.الأهداف:

تعد الأهداف أحد الأركان المهمة للتفريق بين تعليم العربية للناطقين بها والناطقين بغيرها، فتعليم العربية لأهلها يبدأ من المراحل التعليمية الأولى إلى المراحل المتقدمة الثانوي فالجامعة، فمتعلم اللغة العربية الأصلي عند التحاقه بالمدرسة يكون على دراية بألف أو ألفي كلمة على سبيل المثال؛ فيكون بذلك

تعليم المبتدأ من الناطقين بالعربية يختلف عن تعليم العربية للناطقين بغيرها من حيث الأهداف فمنظومة الأهداف التي ترسم عبر المستويات أو السنوات تختلف إذا كنا ندرس العربية لأهلها أو لغير أهلها. فالمستويات في تعليم الأجانب إما أن تكون في أربعة أو في خمسة أو ستة مستويات، يجب أن يعاد توصيف أهداف اللغة العربية من مبتدئها إلى منتهاها ضمن المستويات المحددة في تعليم العربية للناطقين بغيرها، في حين أن هذه الأهداف تنقسم إلى سنوات عديدة في نظام التعليم المدرسي، لذلك فالمتخصص يجب أن يمتلك رؤية أو منهجية في تحديد هذه الأهداف ويمكن الاعتماد على معايير المجلس الأمريكي لتحديد الأهداف أو الإطار المرجعي الأوروبي، فالأهداف المسطرة للتعليم العربية للناطقين بغيرها محدد بزمن محدود وقصير في حين يمكن الاعتماد المعهد الأوروبي لتحديد الأهداف أو الأمريكي.

2.المحتوى:

إنّ محتوى تعليم العربية للناطقين بـها لا يمكن أن يكون نفسه بالنسبة لتعليم العربية للناطقين بغيرها خاصة في البدايات، حيث نجد بعض المؤسسات تستخدم كتب للأطفال في تعليم الناطقين بها لتعليم

الناطقين بغيرها؛ فكتاب السنة الأولى الموجه لطفل في السنة الرابعة أو الخامسة من عمره بكل ما يحتويه مصمم وفق معايير سيكولوجية ومعرفية وعلمية خاصة بمرحلة الطفولة وليس من المنطقي استخدام هذا الكتاب لتعليم إنسان بالغ راشد في مراحل متقدمة من التعليم والعمر فمنهم جامعيين يحضرون رسائل ماجستير أو دكتوراه.

فضلا عن الإطار السيكولوجي المختلف فالموضوع المعرفي في هذا النوع من الكتب يخاطب طفل صغير في معارفه السابقة واللاحقة ويريد أن يبني منظومة من المهارات السلوكية والوجدانية والمعرفية وهي بالتالي مختلفة عن ما يقدم للناطقين بغيرها؛ فالمحتوى يجب أن يختلف تصميمه وتقديمه بالإضافة إلى

موضوع المفردات فالطالب العربي يعرف على الأقل ألف إلى ألفي كلمة في حين الأجنبي لا يعرف هذا الكم القاعدي من المفردات؛ فالمحتوى يجب ان يكون مختلفا في تصميمه وتقديمه وكثافته وقصديته

3. طرائق التدريس والاستراتيجيات:

عند تعليم العربية لأهلها لدينا طرق واستراتيجيات تختلف عن تعليم العربية للناطقين بغيرها فللعرب طرقهم وللأجانب طرق أخرى، فنحن نتحدث عن طرق تدريس تقوم على التمثيل والتطبيق وتقوم على

الطرق المباشرة وغير المباشرة فالطرق تتعدد وتختلف حسب المستهدفين من التدريس، فلا يمكن بالتالي أن تدرس العربية للناطقين بها كما تدرس للناطقين بغيرها.

4. التقويم:

مسألة الطلاقة والدقة ليست مسألة سهلة في الحكم فحين نستمع إلى متعلم من الناطقين بغيرها يتكلم العربية كثير من الناس يعتقد أنّه لا يتقن الحديث باللّغة العربية فربما قد قضى فصل أو فصلين في تعلمها، ولكن في الحقيقة يجب أن نقيس هذه المهارة أو الأداء بالاستناد إلى المعايير أو التوصيفات التي درسها في ضوئها وبالتالي فلا ننظر إلى العربية بشكل كلي كي نحكم على هذا الطالب أنّه بلغ مستوى جيد من اللغة فالسؤال الذي يجب أن يطرح: هل ما اكتسبه من اللغة يتماشى ويتناغم مع التوقعات التي رسمت لهذا الفصل الدراسي من قبل؟ هذه هي المسألة الجوهرية، لذلك فطرق التقويم والتعامل معه وأساليبه في تعليم العربية لأهلها يختلف تماما عن أساليب التقويم في تعليم العربية للناطقين بغيرها.